George Jabbour, **Settler Colonialism in Southern Africa and The Middle East**, (Beirut, P. L. O. Research Center, 1970).

« وهل هناك اي فرق حقيقي بين الطريقة التي يحاول فيها شعب اسرائيل أن يحافظ على نفسه بين الشعوب غير اليهودية وبين الطريقة التي يحاول فيها الافريقاني (المواطن الجنوب افريقي من اصل أوروبي) ان يبقى كما هو ؟ »(١) هل هناك، في الحقيقة ، تشابه اساسي بين مختلف الدول التي انشئت على أساس الاستعمار الاستيطاني وعلى استغلال واضطهاد السكان الاصليين الذين بقوا في بلادهم ؟ ان افريقية والبلدان العربية التي عانت من وطأة الاستعمار والامبريالية قاست ايضا من وجود جماعات مستوطنة على اتصال بالقوى الامبريالية ولكن مع الاحتفاظ بديناميتها الخاصة بها . لقد شهدت الجزائر وفلسطين ، وانجولا وموزامبيق وزمبابوي (روديسيه) وناميبيه (جنوب غرب افريقيه) وجنوب افريقيه وجود مثل هذه الجماعات ، وانه لاكثر من صدفة انه في هذه المناطق بالذات ان موجة انحسار الاستعمار ونيل الاستقلال تأخرا جدا وان النضال من اجل الاستقلال تميز بعنف لم تشهده المناطق الاخرى . وبالاضافة لذلك ، فان هذه البلاد التي تحاذي مناطق السيطرة الاستعمارية عانت من سياسة توسعية جلية تهدف الى اضعاف استقلالها .

لو حصر المرء مجالات المقارنة بين الجماعات المستوطنة في تلك الجماعات التي لها استقلال **واقعي** او **قانوني** ، وبذلك تستثنى المستعمرات البرتجالية ولكن ليس روديسيه تحت حكم ايان سميث ، تظهر سلسلة من الامور المتوازية ، على صعيد الطريقة التي تم بها الحصول على الاستقلال **الواقعي** لهذه الجماعات ، وعلاقاتها مع الدولة الامبريالية — بالنسبة للتي درسها جبور ، المملكة المتحدة هي هذه الدولة في كل حالة — والاساس القانوني الذي يرتكز عليه اضطهاد المواطنين الاصليين ، وما الى ذلك . لقد حاول جورج جبور رسم هذه المتوازيات ، ولاحظ بأنه « لم يعط اهتمام كاف للاجهزة الستاتية والديناميية التي اعطت الاستعمار الاستيطاني شكله المميز » . ومع انه فعل ذلك ، الا انه لم يحاول استخراج نموذج سياسي — ان هذه لمهمة يمكن أن يقوم بها بعض علماء السياسة — ولكنه حصر نفسه في تبيان بعض الملامح الموجودة فيها جميعا ومن ثم مقارنتها .

اذا ما القينا نظرة سطحية نرى ان هناك تشابها قليلا بين البلدان الثلاثة ، على الاقل عندما ننظر اليها من الموقف التقليدي القائم على الدعاية الفعالة التي يقوم بها الصهيونيون ومعارضو التمييز العنصري . فبينما يقول الصهيونيون منذ عشرين سنة ان اسرائيل دولة ضد العنصرية ، وديمقراطية تسودها العدالة ، أظهرت جنوب افريقيه بشكل جلي ، وهذا صحيح في هذه الحالة ، بأنها عنصرية وفاشية . وفي الحقيقة ان تاريخ حكام جنوب افريقية الحاليين المناهض للسامية يجعل المقارنة بين اسرائيل وجنوب افريقيه غير قابلة للتصور . فتحول الافريقانيين المناهضين للسامية الى مناصرين لاسرائيل ، كما تحدث عن ذلك ريتشارد ستيفنز حدث بعيد ١٩٤٨ عندما تسلم الافريقانيون السلطة واقيمت دولة اسرائيل . وفي الحقيقة عندما كان زعماء اسرائيل واعين لضرورة تقديم صورة جيدة لدولتهم أمام العالم ، ولذلك لم يعلنوا بصراحة ان هناك تشابها بينهم وبين جنوب افريقية ، لم يشعر فيروورد ، رئيس حكومة جنوب افريقيه بشيء من ذلك ، وقال : « انني متفق مع العرب على ان اسرائيل دولة عنصرية كجنوب افريقيه »(٢). طبعا ليس من الضرورة الاستشهاد بأقوال زعماء جنوب افريقيه من النازيين السابقين لاظهار مثل هذا التشابه ، رغم ان ذلك فيه نوع من السخرية .

ان تاريخ هاتين الجماعتين الاستيطانيتين وتاريخ روديسيه ، الشقيقة الصغرى لجنوب افريقيه ، تربط بينهما خيوط مشتركة ، وهذا هو ما يركز عليه جبور .

ان جبور يعالج طريقة مد المستوطنين لسيطرتهم **الشرعية** على البلاد ، وادخال تشريع يسمح بطرد السكان الاصليين ، والاشكال التي تتخذها مقاومة هؤلاء السكان والاحتكاك بين الجماعة المستوطنة والدولة الامبريالية مما يؤدي في النهاية الى

---

١ — ستيفنز ، ريتشارد ب. **الصهيونية، وجنوب افريقيه والتمييز العنصري** . (مركز الابحاث ، م. ت. ف. ، بيروت ، ١٩٦٩) ، ص ٢٥ ، نقلا عن مجلة « ذي ترنسفالر » بجنوب افريقيه .

٢ — « **رائد دايلي ميل** » ١٩٦١/١١/٢٣ .